نحو إدارة ناجحة

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

كلمة الناشر

إن الظروف العصيبة التي تمر بالعالم.. والمشكلات الكبيرة التي تعيشها الأمة الإسلامية.. والمعاناة السياسية والاجتماعية التي تقاسيها بمضض.. وفوق ذلك كله، الأزمات الروحية والأخلاقية التي يئنّ من وطأتها العالم أجمع.. والحاجة الماسة إلى نشر وبيان مفاهيم الإسلام ومبادئه الإنسانية العميقة التي تلازم الإنسان في كل شؤونه وجزئيات حياته وتتدخل مباشرةً في حلّ جميع أزماته ومشاكله في الحرية والأمن والسلام وفي كل جوانب الحياة.. والتعطش الشديد إلى إعادة الروح الإسلامية الأصيلة إلى الحياة، وبلورة الثقافة الدينية الحيّة، وبثّ الوعي الفكري والسياسي في أبناء الإسلام كي يتمكنوا من رسم خريطة المستقبل المشرق.. كل ذلك دفع المؤسسة لأن تقوم بنشر مجموعة من المحاضرات التوجيهية القيمة التي ألقاها المرجع الديني

الإمام الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) في ظروف وأزمنة مختلفة، حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، وقد قام سماحته دام عزه بتهذيبها والإضافة عليها، فقمنا بطباعتها مساهمة منا في نشر الوعي الإسلامي، وسداً لبعض الفراغ العقائدي والأخلاقي لأبناء المسلمين من أجل غدٍ أفضل ومستقبل مجيد.. وذلك انطلاقاً من الوحي الإلهي القائل: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١). الذي هو أصل عقلائي عام يرشدنا إلى وجوب التفقه في الدين وإنذار الأمة، ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم في معرفة أحكامه في مواقفه وشؤونه.. كما هو تطبيق عملي وسلوكي للآية الكريمة:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (٢).

إن مؤلفات الإمام الشيرازي (أعلى الله مقامه) تتسم بـ:

أولاً: التنوّع والشمولية لأهم أبعاد الإنسان والحياة لكونها انعكاساً لشمولية الإسلام.. فقد أفاض قلمه المبارك الكتب والموسوعات الضخمة في شتى علوم الإسلام المختلفة، بدءً من موسوعة (الفقه) التي بلغت المائة والستين مجلداً، حيث تُعدّ أكبر موسوعة علمية استدلالية فقهية، مروراً بعلوم الحديث والتفسير والكلام والأصول والسياسة والاقتصاد والاجتماع والحقوق وسائر العلوم الحديثة الأخرى.. وانتهاءً بالكتب المتوسطة والصغيرة التي تتناول مختلف المواضيع والتي تتجاوز بمجموعها الـ (١٣٠٠) كتاب

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) سورة الزمر: ١٧-١٨.

وكراس. ثانياً: الأصالة حيث إنها تتمحور حول القرآن الكريم والسنة المطهرة وتستلهم منهما الرؤى والأفكار. ثالثاً: المعالجة الجذرية والعملية المستبصرة بمشاكل الأمة الإسلامية ومشاكل العالم المعاصر.

رابعاً: التحدث بلغة علمية رصينة في كتاباته لذوي الاختصاص كـ(الأصول) و(القانون) و(البيع) وغيرها، وبلغة واضحة سهلة يفهمها الجميع في كتاباته الجماهيرية، مدعومة بشواهد من واقع الحياة.

نرجو من المولى العلي القدير أن يتقبل منا ذلك، إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الإدارة والمداراة

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إن في كل شيء موعظة وعبرة لذوي اللبّ والإعتبار»[1].

الإدارة تنقسم إلى قسمين: إدارة ناجحة، وإدارة فاشلة، ولكل منهما أسباب، فالإدارة الناجحة لا تكون إلا بمقوماتها، من شروط ومقتضيات وعدم المانع إلى غير ذلك مما هو مذكور في محله. وإلا ستكون فاشلة.

ومن أهم مقومات الإدارة الناجحة: هي المداراة.

وقد ورد في اللغة: (مداراة الناس: المداجاة والملاينة، ومنه

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٢ ق٦ ب٦ ف١ ح١٠٧٧٠.

الحديث: «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس»[1] أي ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك)[2].

وقال رسول الله ﷺ في حديث آخر: «رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر»[3]. وهذا مصداق من مصاديق المداراة كما لا يخفى.

إن من أهم ما يلزم الاهتمام به من قبل الجميع: المداراة، التي هي من حُسن الإدارة، وكذلك معرفة الأسس التي سار عليها الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام في إدارة شؤون المجتمع والتعامل مع الناس مما يُعبّر عنه بفن التعايش، وكذلك معرفة أنه كيف استطاع الرسول الأعظم ﷺ أن يجمع تحت راية الإسلام تلك الأقوام المتناحرة التي كانت تعاني من التفرق والتشتت والجهل والعداوة والبغضاء، وأن يضع لهم برنامجاً متكاملاً لتهذيب النفس، وأن يجعلهم رحماء بينهم، وأن يجنّد الطاقات في سبيل الخير والفضيلة، ويحقق بهؤلاء القوم النصر والغلبة على باقي الأمم المعاصرة لهم في ذلك الزمان وفي كل

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٢ ب١٢١ ح١٦٠٨٨.

(٢) لسان العرب: ج١٤ ص٢٥٥ مادة (دري).

(٣) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٥٣ ب٢٨ ح٩٦٤٢.

الميادين؟

وعلى رغم هذه الجهود العظيمة التي بذلها الرسول الأعظم ﷺ وضرورة معرفتها والتأسي بها، فإننا لم نشاهد بالمقدار الكافي كتباً وبحوثاً قد تناولت سيرة وحياة رسول الله ﷺ بشكل تحليلي متكامل، بحيث يستوفي تلك السيرة العظيمة العطرة المعطاء، ولا يخفى أن هذا العمل صعب للغاية، إلا أنه لو تحقق ذلك لكان عملاً كبيراً نافعاً جداً.

ونحن لا نريد التنكر لما كتب عن سيرة وتاريخ الرسول ﷺ في الكتب المهمة الموجودة بأيدينا ـ وإن كانت قليلة ـ، لكن ذلك لم يكن بشكل تفصيلي وتحليلي متكامل ولم يستوف الغرض.

لذا يلزم أن يسعى الجميع ولفائدة الأمة الإسلامية ولكل بني الإنسان، في أن تُكتب سيرة النبي وأهل بيته (عليهم أفضل الصلاة والسلام) بشكل مفصّل ومبوّب ووافٍ وبلسان العصر، وذلك بالشكل الذي يكتب فيه الفقهاء الروايات المختلفة التي تبوب في الأبواب المتعددة الفقهية، ويتناولونها بالدرس والتحليل والجمع بين المتعارضين، كما هو المشاهد من باب الطهارة إلى باب الديات.

فمثلاً، عن كيفية الإدارة يستطيع الكاتب أن يتناول الأساليب التي اتبعها الرسول الأعظم ﷺ أثناء إدارته لشؤون بلاد

المسلمين، وكذلك في الجانب الاقتصادي والعمراني يكتب عن كيفية تعامل رسول الله ﷺ مع هذا الحقل المهم من حياة الناس، وكذلك عن تلك الأخلاقية التي تعامل بها النبي ﷺ وآله عليهم السلام في هذه الميادين، لأن المعصومين عليهم السلام كانوا في تعاملهم أسوة وقدوة ليس للمسلمين فحسب، بل لكل البشرية على الإطلاق، ولو تم تدوين تاريخهم وأساليبهم في الحياة لأصبح لدى الانسانية منهجاً كاملاً متكاملاً وأسلوباً ناجحاً بلا شك ولا ريب، تسير عليه الأمم في الحياة الدنيا وتضمن السعادة في الحياة الأخرى.

والحقيقة أن ما يقارب ٩٠٪ من خصوصيات وسلوك النبي والأئمة (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وسيرتهم الطاهرة في مجالات الحياة المختلفة غير مسجلة أو غير متوفرة بأيدينا اليوم، ولو راجعنا التاريخ واستخرجنا بعض ذلك منه متخذين من الدراسة والتحقيق العميق وسيلة إلى ذلك، لاستطعنا أن نفهم بعض تلك الحقائق الحيوية، ولاتخذناها منهجاً نموذجياً حياً نسير عليه في حياتنا.

الخطب اليومية للرسول ﷺ

ومما يدل على ما ذكرناه من أن الكثير من أساليب الإدارة الناجحة لرسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام لم تصلنا، أنه ذكر في كتب التاريخ أن الرسول الأعظم ﷺ كان يخطب بعد كل صلاة

من الصلوات اليومية الواجبة، فكل يوم خمسة خطب، فكم خطبة تكون في حياته الرسالية المباركة؟ هذا بالإضافة إلى سائر خطبه ﷺ في مختلف المستجدات.

ولكن كم هي الخطب التي وصلتنا ؟ [1].

فن إدارة المعارضة

وكذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فله مناظرات عديدة مع الخوارج، وهي تبين بدورها أسلوب التعامل مع المعارضة وفن إدارة الأعداء الداخليين، وبعض هذه المناظرات والبحوث والنقاشات كان يطول أكثر من ثمان ساعات أحياناً، ولكنه لم يصلنا منها إلا الشيء القليل.

روي أن رجلاً من أصحابه قام إليه فقال: إنك نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أي الأمرين أرشد؟!

فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى، ثم قال: «هذا جزاء

---

(١) بذل بعض العلماء والمؤرخين جهودهم لجمع خطب النبي ﷺ، نذكر منهم: عبد العزيز بن يحيى الجلودي في كتاب الخطب، ذكره النجاشي في رجاله، ومنهم: أبو الحسن المدائني، والشيخ موسى الزنجاني في كتاب مدينة البلاغة في خطب النبي ﷺ وكتبه ووصاياه، في مجلدين، والسيد محمد سعيد بن السيد ناصر حسين الموسوي اللكهنوي في كتاب معراج البلاغة، وغيرها.

من ترك العقدة، أما والله، لو أني حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الذي جعل الله فيه خيرا كثيرا، فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم لكانت الوثقى، ولكن بمن وإلى من أريد أن أداوي بكم، وأنتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها. اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي، وكلت النزعة بأشطان الركي».

وقال عليه السلام وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحكومة بعد كلام طويل: «ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكراً وخديعة: إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم؟! فقلت لكم: هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان، وأوله رحمة وآخره ندامة، فأقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أجيب أضل وإن ترك ذل، فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن القتل ليدور بين الآباء والأبناء والإخوان والقرابات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيماناً ومضياً على الحق وتسليما للأمر وصبرا على مضض الجراح، ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل، فإذا طمعنا في خصلة يلم الله

بها شعثنا ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عما سواها».

وقال عليه السلام في التحكيم: «إنا لم نحكم الرجال؛ وإنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال، ولما أن دعانا القوم إلى أن يحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله عز وجل وقد قال الله سبحانه: ﴿فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1] فرده إلى الله أن نحكم بكتابه، ورده إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن نأخذ بسنته، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أحق الناس به، وإذا حكم سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن أولاهم به، وأما قولكم: لم جعلت بينك وبينهم أجلا في التحكيم؛ فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم، ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة ولا تؤخذ بأكظامها فتعجل عن تبين الحق و تنقاد لأول الغي».

وروي: أن أمير المؤمنين عليه السلام أرسل عبد الله بن العباس إلى الخوارج، وكان بمرأى منهم ومسمع، قالوا له في الجواب: إنا نقمنا

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

يا ابن عباس على صاحبك خصالاً كلها مكفرة موبقة ؛ تدعو إلى النار!.

أما أولها: فإنه محا اسمه من إمرة المؤمنين ثم كتب بينه وبين معاوية، فإذا لم يكن أمير المؤمنين ونحن المؤمنون لسنا نرضى بأن يكون أميرنا.

وأما الثانية: فإنه شك في نفسه حين قال للحَكَمين: انظرا، فإن كان معاوية أحق بها فأثبتاه وإن كنت أولى بها فأثبتاني، فإذا هو شك في نفسه ولم يدر أهو المحق أم معاوية فنحن فيه أشد شكاً.

والثالثة: أنه جعل الحكم إلى غيره، وقد كان عندنا أحكم الناس.

والرابعة: أنه حَكم الرجال في دين الله ولم يكن ذلك إليه.

والخامسة: أنه قسم بيننا الكراع والسلاح يوم البصرة، ومنعنا النساء والذرية.

والسادسة: أنه كان وصياً فضيع الوصية.

قال ابن عباس: قد سمعت يا أمير المؤمنين مقالة القوم، وأنت أحق بجوابهم؟

فقال عليه السلام: «نعم»، ثم قال: «يا ابن عباس قل لهم: ألستم ترضون بحكم الله وحكم رسوله؟».

قالوا: نعم.

قال: «أبدأ على ما بدأتم به في بدء الأمر»، ثم قال: «كنت أكتب لرسول الله ﷺ الوحي والقضايا والشروط والأمان يوم صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله وأبو سفيان صخر بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال سهيل: لا نعرف الرحمن الرحيم، ولا نقرّ أنك رسول الله، ولكنا نحسب ذلك شرفا لك أن تقدم اسمك على أسمائنا، وإن كنا أسن منك وأبي أسن من أبيك، فأمرني رسول الله ﷺ فقال: اكتب مكان بسم الله الرحمن الرحيم، باسمك اللهم، فمحوت ذلك وكتبت باسمك اللهم، ومحوت رسول الله وكتبت محمد بن عبد الله، فقال لي: إنك تدعى إلى مثلها فتجيب وأنت مكره، وهكذا كتبت بيني وبين معاوية وعمرو بن العاص: هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين ومعاوية وعمرو بن العاص، فقالا: لقد ظلمناك بأن أقررنا بأنك أمير المؤمنين وقاتلناك، ولكن اكتب: علي بن أبي طالب، فمحوت كما محا رسول الله ﷺ فإن أبيتم ذلك فقد جحدتم؟!»

فقالوا: هذه لك خرجت منها!

قال: «وأما قولكم: إني شككت في نفسي حيث قلت

للحَكَمين: انظرا فإن كان معاوية أحق بها مني فأثبتاه؛ فإن ذلك لم يكن شكاً مني ولكن أنصفت في القول، قال الله تعالى: ﴿وإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1] ولم يكن ذلك شكاً، وقد علم الله أن نبيه على الحق».

قالوا: وهذه لك!.

قال: «وأما قولكم: إني جعلت الحكم إلى غيري، وقد كنت عندكم أحكم الناس، فهذا رسول الله ﷺ قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة، وقد كان من أحكم الناس، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] فتأسيت برسول الله ﷺ».

قالوا: وهذه لك بحجتنا!.

قال: «وأما قولكم: إني حكمت في دين الله الرجال، فما حكمت الرجال؛ وإنما حكمت كلام ربي الذي جعله الله حكماً بين أهله، وقد حكم الله الرجال في طائر، فقال: ﴿ومَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ

---

(١) سورة سبأ: ٢٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

مِنْكُمْ﴾[1] فدماء المسلمين أعظم من دم طائر».

قالوا: وهذه لك بحجتنا!.

قال: «وأما قولكم: إني قسمت يوم البصرة لما ظفرني الله بأصحاب الجمل الكراع والسلاح، ومنعتكم النساء والذرية؛ فإني مننت على أهل البصرة كما من رسول الله ﷺ على أهل مكة، فإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم، ولم نأخذ صغيرا بكبير، فأيكم كان يأخذ عائشة في سهمه؟!».

قالوا: وهذه لك بحجتنا!.

قال: «وأما قولكم: إني كنت وصياً فضيعت الوصية، فأنتم كفرتم وقدمتم علي وأزلتم الأمر عني، وليس على الأوصياء الدعاء إلى أنفسهم، إنما يبعث الله الأنبياء عليهم السلام فيدعون إلى أنفسهم، وأما الوصي فمدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه، وذلك لمن آمن بالله ورسوله، ولقد قال الله جل ذكره: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[2] فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إياه، ولكن كانوا يكفرون بتركهم؛ لأن الله تعالى قد نصبه لهم عَلَماً، وكذلك نصبني علماً،

---

(١) سورة المائدة: ٩٥.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧.

حيث قال رسول الله ﷺ: «يا علي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وأنت مني بمنزلة الكعبة تُؤتى ولا تأتي».

فقالوا: وهذه لك بحجتنا! فأذعنوا، فرجع بعضهم وبقي منهم أربعة آلاف لم يرجعوا ممن كانوا قعدوا عنه، فقاتلهم وقتلهم»[1].

علماً بأنهم هم الذين بدؤوا بالقتال ولم يبدأهم الإمام عليه السلام.

ومن هذه المناظرة يعلم مدى تلك الحريات التي كانت تتمتع بها المعارضة، وأن الإمام عليه السلام أخذ يجيب على شبهاتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وبشكل يوجب الإقناع.

وهذه كلها دروس في فن إدارة المعارضة. وهي بعيدة كل البعد عما نراه اليوم في حكوماتنا حيث لا يمكن للمعارضة أن تتنفس.

ومما يؤسف له أن السيرة العطرة لرسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الطاهرين من ذريته عليهم السلام لم يصلنا بالشكل الكامل، وإن كان في ما بأيدينا ما يكفي للتأسي بهم والاقتداء بهديهم.

إن التاريخ قد نقل لنا عن المتعلمين في مدرسة الإمام الصادق

---

(١) الاحتجاج: ج١ ص١٨٥، احتجاجه عليه السلام على الخوارج لما حملوه على التحكم، ثم أنكروا عليه ذلك ونقموا عليه أشياء، فأجابهم عليه السلام عن ذلك بالحجة، وبين لهم أن الخطأ من قبلهم بل وإليهم يعود.

عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام أنهم تعلّموا ورروا عشرات الآلاف من الأحاديث، حتى قال بعضهم: تعلّمت من جعفر الصادق عليه السلام مائة وخمسين ألف حديث[1].

لكننا ـ وللأسف ـ لم يصلنا من كل تلك الأحاديث إلا بعضها، كما أن ما جاء في كتاب (وسائل الشيعة) لا يبلغ ثلث هذا الرقم[2]،

---

(١) عن محمد بن مسلم قال: (ما شجر في قلبي شيء إلا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام حتى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ستة عشر ألف حديث) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣١٥ ح٢١٤٥٢.
وعن جابر قال: (عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله) بحار الأنوار: ج٥٣ ص١٣٩.
وعن جابر قال: (حدثني أبو جعفر تسعين ألف حديث) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٩٨ ب٢٣ ح١٤١٣٤.
وأبان ابن تغلب (روى عن الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديث). رجال ابن داود ص١٠.
وابن عقدة الزيدي كان يحفظ مائة وعشرين ألف حديث بأسانيدها ويذاكر بثلاثمائة ألف حديث. انظر رجال ابن داود ص٤٢٢. رجال الطوسي: ص٤٠٩. رجال العلامة الحلي: ص٢٠٤.

(٢) إن الأحاديث التي وردت في كتاب (وسائل الشيعة) هي ٣٥٨٦٨ حديثاً.
جاء في الذريعة في تعريف كتاب وسائل الشيعة: كتاب (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، ويقال لـه: (الوسائل) تخفيفاً، هو أحد الجوامع المتأخرة الكبرى للمحمدين الثلاثة، وهي: الوافى، والبحار، والوسائل. وهو تأليف العلامة المحدث الحر العاملي نزيل خراسان الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المشغرى المولود في (١٠٣٣هـ) والمتوفى سنة (١١٠٤هـ) وهو حاو لجميع أحاديث الكتب الأربعة التى عليها المدار، وجامع لأكثر ما في كتب الإمامية من أحاديث الأحكام وعدة تلك الكتب نيف وسبعون كتابا، كافتها معتمدة عند الأصحاب، وقد فصل فهرسها وبين اعتبارها في خاتمة الكتاب، وأدرج في الخاتمة من ←

→
الفوائد الرجالية ما لم يوجد في غيرها، بدأ بأحاديث مقدمة العبادات، ورتب أحاديث الأحكام على ترتيب كتب الفقه من الطهارة إلى الديات، وكل كتاب على أبواب ... وبالجملة هو أجمع كتاب لأحاديث الأحكام وأحسن ترتيباً لها حتى من الوافى والبحار لاقتصار الوافى على جمع خصوص ما في الكتب الأربعة على خلاف الترتيب المأنوس فيها، واقتصار البحار على ما عدا الكتب الأربعة مع كون جل أحاديثه في غير الأحكام، فنسبة هذا الجامع إلى سائر الجوامع المتأخرة كنسبة الكافي إلى سائر الكتب الأربعة المتقدمة، ويشبه الكافي أيضاً في طول مدة جمعه إلى عشرين سنة كما صرح به الشيخ الحر نفسه في الفهرس الذى كتبه بعد تمام الكتب (في سنة ١٠٨٨هـ)، وقد شرح (الوسائل) بعد المؤلف جمع من الأعلام، منهم الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ عبد النبي بن محمد بن سليمان المقابي المعاصر للشيخ يوسف البحراني. ومنهم الحاج المولى محمد رضى القزويني الشهيد في فتنة الأفغان. ومنهم الشيخ محمد بن سليمان المقابي البحراني المعاصر للشيخ عبد الله السماهيجى اسم شرحه (مجمع الأحكام). ومنهم سيد مشايخنا أبو محمد الحسن بن العلامة الهادى آل صدر الدين الموسوي طاب ثراه.. وللشيخ الحر نفسه شرح آخر على (الوسائل) على نحو التعليق فيه بيان اللغات، وتوضيح العبارات أو دفع الاشكالات عن متن الحديث أو سنده أو غير ذلك، كتبه بخط يده على هوامش نسخ الوسائل التى كتبها بخطه، ومجموع ما رأيناه من نسخ الوسائل بخط المؤلف ثلاث نسخ، ولعله كتب نسخة أخرى لم نشاهدها، إحداها النسخة الأصلية المسودة التى عليها شطب كثير، وإصلاحات، وتغييرات في أكثر سطورها بحيث يقطع كل أحد بأنها أول نسخة خرجت منه إلى السواد كما هو العادة في التأليفات، فلله در المؤلف وجزاه الله عن الإسلام خير جزاء المحسنين حيث أتعب في هذا التأليف نفسه بما لا يتحمله أكثر الخواص وذلك من فضل الله عليه وتوفيقه إياه يؤتيهما من يشاء من عباده، ومع هذا الجهد الكثير والأتعاب البالغة قد فاته من الأحاديث المروية عن الأئمة الهادين سلام الله عليهم ما لا يحصيه إلا الله، وقد وفق الله شيخنا العلامة النوري لجمع بعض ما وفاته من الأحاديث في جميع الأبواب في الجامع الكبير الموسوم بـ(مستدرك الوسائل).

انظر الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج٤ ص٣٥٢ تحت الرقم ١٥٥٠.
←

فإن سيرته صلى الله عليه وآله وسيرة أهل بيته عليهم السلام لم تصل إلينا كاملة، فسيرته صلى الله عليه وآله قبل البعثة لم يصلنا منها إلا القليل، من قبيل لقائه صلى الله عليه وآله مع بحيرا الراهب[1]..

ووضع الحجر الأسود[2]..

وبعض القصص والحوادث التاريخية الأخرى.

قصة وضع الحجر

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن قريشاً في الجاهلية هدموا البيت، فلما أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه وألقي في روعهم الرعب، حتى قال قائل منهم: ليأتي كل رجلٍ منكم بأطيب ماله، ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحمٍ أو حرامٍ، ففعلوا، فخلي بينهم وبين بنائه، فبنوه حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر الأسود في موضعه، حتى كاد أن يكون بينهم شرّ، فحكموا أول من يدخل من باب المسجد، فدخل

→

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٥ ص١٧٤ باب البشائر بمولده ونبوته صلى الله عليه وآله.

(٢) راجع الكافي: ج٤ ص٢١٥ باب ورود تبع وأصحاب الفيل البيت، وحفر عبد المطلب زمزم، وهدم قريش الكعبة وبنائهم إياها، وهدم الحجاج لها وبنائه إياها ح٣.

رسول الله ﷺ فلما أتاهم أمر بثوبٍ فبسط، ثم وضع الحجر في وسطه، ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه، ثم تناوله ﷺ فوضعه في موضعه فخصه الله به»[1].

وقالوا: إنما هدمت قريش الكعبة لأن السيل كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها فانصدعت، وسرق من الكعبة غزال من ذهبٍ رجلاه من جوهرٍ، وكان حائطها قصيراً، وكان ذلك قبل مبعث النبي ﷺ بثلاثين سنة، فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة ويبنوها ويزيدوا في عرصتها، ثم أشفقوا من ذلك وخافوا إن وضعوا فيها المعاول أن تنزل عليهم عقوبة..

فقال الوليد بن المغيرة: دعوني أبدأ فإن كان لله رضًا لم يصبني شيء، وإن كان غير ذلك كففنا، فصعد على الكعبة وحرك منه حجراً فخرجت عليه حية وانكسفت الشمس.

فلما رأوا ذلك بكوا وتضرعوا، وقالوا: اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح، فغابت عنهم الحية، فهدموه ونحوا حجارته حوله، حتى بلغوا القواعد التي وضعها إبراهيم عليه السلام، فلما أرادوا أن يزيدوا في عرصته وحركوا القواعد التي وضعها إبراهيم عليه السلام أصابتهم زلزلة

---

(١) الكافي: ج٤ ص٢١٧ باب ورود تبع وأصحاب الفيل البيت... ح٣.

شديدة وظلمة، فكفوا عنه، وكان بنيان إبراهيم عليه السلام الطول ثلاثون ذراعاً والعرض اثنان وعشرون ذراعاً والسمك تسعة أذرعٍ، فقالت قريش: نزيد في سمكها، فبنوها، فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تشاجرت قريش في وضعه، فقال كل قبيلةٍ: نحن أولى به، نحن نضعه، فلما كثر بينهم تراضوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبة، فطلع رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: هذا الأمين قد جاء، فحكّموه، فبسط رداءه، وقال بعضهم: كساء طاروني كان له، ووضع الحجر فيه، ثم قال: «يأتي من كل ربعٍ من قريشٍ رجل، فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمسٍ، والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزومٍ، وقيس بن عدي من بني سهمٍ، فرفعوه، ووضعه النبي صلى الله عليه وآله في موضعه[1].

إلى بعض القصص الأخرى المختصرة جداً التي وردتنا عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة النبوية الشريفة، ولو دوّن التاريخ خلال الأربعين سنة التي سبقت البعثة كل سيرته العطرة لكانت عشرات المجلدات.

معنى الإدارة وتقسيماتها

(١) الكافي: ج٤ ص٢١٧ باب ورود تبع وأصحاب الفيل البيت.. ح٤.

الإدارة[1] هي فن ممارسة سلطة الإنسان على أفراد جنسه أو على الطبيعة، ولكن هذه السلطة تختلف من شخص إلى آخر، فبعض يستحقها وبعض تقمّصها، وعند البعض تكون الإدارة هي السلطة المطلقة، فالشخص الذي يمارس الإدارة حتى وإن لم يكن مؤهلاً لها شرعا، لكنه يمتلك صلاحية كاملة في توجيه ما يريد وكيفما يريد وأينما يريد، وهذه الفكرة عادة تترسخ عند الاستبداديين ومن يدور في فلكهم.

أما الإسلاميون فلا يرون هذه الإدارة المطلقة للإنسان العادي، بل الإدارة المطلقة والولاية المطلقة تكون من خصائص الباري عزوجل وهو عادل لايظلم أحداً، وكذلك من خوّله الله تعالى لها، وهوالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام المعصوم عليه السلام، أما الإنسان العادي فلا يحق أن يقوم بهذه السلطة المطلقة.

نعم هناك سلطة محدودة وولاية مشروطة يمارسها بعض الأشخاص الذين يخولهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم أو من ينوب عنهم عليهم السلام في زمن الغيبة، من الفقهاء المراجع العدول،

---

(١) للتفصيل راجع مؤلفات الإمام الشيرازي الراحل (أعلى الله مقامه) في هذا المجال، وهي: (الفقه: الإدارة ج١وج٢) و(تنمية القدرات الإدارية) و(كيف تدير الأمور؟).

فهؤلاء سلطتهم الإدارية محدودة بالشرع المقدس وتكون خاضعة لولاية شورى الفقهاء المراجع في المسائل العامة.

السلطات وأقسامها

قسموا السلطة إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: السلطة التشريعية.

وثانياً: السلطة التنفيذية.

وثالثاً: السلطة القضائية[1].

وهذه السلطات جميعها كانت للنبي والإمام المعصوم (عليهما أفضل الصلاة والسلام). وذلك بنصوص من القرآن والسنة الشريفة دلت

---

(١) لقد عرّفت هذه السلطات في الوقت الحاضر ووفق القوانين الوضعية حسب ما يلي:
أولاً: السلطة التشريعية: وهي التي تملك حق سن القوانين ومناقشتها ومراقبة تنفيذها وسلامتها. وتمثل السلطة التشريعية عادةً في مجلس نيابي يشترط في أعضائه المواطنة وخلو السجل العدلي من الجناية وسلامة العقل واكتمال الأهلية، ومن أهم واجباتها منع استبداد الهيئة التنفيذية.
ثانياً: السلطة التنفيذية: وهي أحدى السلطات الثلاث التي تشمل المؤسسات والوظائف المختصة بتنفيذ القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية، وعلى هذا الأساس تشمل رئيس الجمهورية والمجالس المحلية وموظفي الدولة كافة باستثناء القضاة. ولها أعمال تتصل بالاستقرار الداخلي والدفاع والعلاقات مع دول العالم وتنظيم مالية الدولة، وتنظيم القضاة، وتقديم الخدمات للمواطنين، وتنشيط الاقتصاد.
وثالثاً: السلطة القضائية: وهي المناط بها وظيفة تفسير القانون وتطبيقه على الوقائع المعنية التي تعرض على هيئاتها كالمحاكم، ولابد من توافر حسن العدالة ومعرفة القانون والاستقلال والنزاهة في القضاة، ويعتبر استقلاليتها في الأنظمة الديمقرطية مبدأ لا يجوز المساس به.

على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم﴾ [1]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[3]. إلى غيرها من النصوص الدالة على ذلك.

أما السلطات المحدودة فليس لها الحق في التشريع، وإنما تقتصر مهمتها في السلطة التنفيذية والقضائية كما هو حال علمائنا اليوم، فمهمتهم استنباط وتنفيذ الأحكام التي أقرتها الشريعة، وكذلك القضاء بين الناس، وخصوصاً في الأمور المستحدثة حسب الرواية المشهورة: «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا» [4].

وهذه السلطات نوع من الإدارة بالمعنى الأعم كما لايخفى.

---

(١) سورة الأحزاب: ٦.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) راجع وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص١٣٦ باب وجوب الرجوع في القضاء والفتوى إلى رواة الحديث من الشيعة فيما رووه عن الأئمة عليهم السلام من أحكام الشريعة لا فيما يقولونه برأيهم..

مراحل الإدارة في صدر الإسلام

ربما يمكن تقسيم الإدارة في عصر الرسول الأعظم ﷺ إلى خمس مراحل، علماً بأن الرسول ﷺ قد واجه في تلك الإدارة وترسيخها الكثير من الصعوبات التي لم يواجهها أحد من القادة ولا شخص من الأنبياء عليهم السلام وذلك في سبيل نشر الإسلام، وتركيز دعائمه عبر الإدارة الناجحة في البلاد الإسلامية.

المرحلة الأولى:

من المعلوم، أن الرسول الأعظم ﷺ بدأ بنشر رسالته الإلهية في مجتمع مكة، وكان هذا المجتمع جاهلياً بتمام معنى الكلمة، حيث تكثر فيه الخرافات والعادات السلبية السيئة، ومن البديهي أن يصعب العمل الاصلاحي والتنظيمي لأي شخص في مثل هذا المجتمع، وكذلك من الصعب جداً إدارة مجتمع من هذا النوع بإدارة ناجحة في سبيل تغييرها والتركيز على المبادئ الإسلامية الفاضلة.

وقد عمل الرسول الأعظم ﷺ في سبيل إرساء قاعدته وخططه الإدارية الناجحة في ذلك المجتمع بحذر شديد، وبصورة محدودة، وبشكل تدريجي، وقد واجه من المشركين أكبر المشاكل،

فاقتصر ﷺ في باديء الأمر على إدارة من آمن من الناس، ونشر الرسالة الإسلامية بين من تقبله من المؤمنين، حيث لم يتقبل منه ﷺ في أول الأمر إلا أفراد معدودون كما هو المشهور في التاريخ، وكان على رأسهم وأولهم إيماناً به ﷺ ابن عمه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكذلك أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صلّيت قبل الناس بسبع سنين»[1].

وعن ابن عباس قال: (أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال علي عليه السلام، ومن النساء خديجة عليها السلام).[2]

وتعد هذه الفترة هي المرحلة الأولى التي نشأت فيها الإدارة الإسلامية الناجحة، وكان النبي ﷺ في هذه الفترة يوزع الأعمال الإدارية فيما بين المؤمنين لنشر الرسالة الإسلامية وترسيخ دعائمها، واستمرت هذه الفترة من البعثة النبوية الشريفة إلى دخول النبي ﷺ وأصحابه شعب أبي طالب عليه السلام، ودخل في هذه الفترة مجموعة من الناس في الإسلام.

---

(١) تفسير مجمع البيان: ج٥ ص١١٣ تفسير سورة التوبة.
(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص١ ب٥ ح٢.

المرحلة الثانية:

أما المرحلة الثانية، فقد بدأت عند ما أرسلت الأوس والخزرج[1] وفودها إلى الرسول الأعظم ﷺ لتبايعه، فأمر ﷺ من بين الوفود التي وفدت عليه من الأوس والخزرج اثني عشر نقيباً ليقوموا بتنظيم الأمور وإدارتها بين قومهم.

روي أن النبي ﷺ كان يعرض نفسه على قبائل العرب في الموسم، فلقي رهطاً من الخزرج، فقال: «ألا تجلسون أحدثكم؟».

قالوا: بلى.

فجلسوا إليه ﷺ فدعاهم إلى الله وتلا عليهم القرآن.

فقال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلمون والله إنه النبي الذي كان يوعدكم به اليهود، فلا يسبقنكم إليه أحد، فأجابوه، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم، وعسى أن يجمع الله بينهم بك، فستقدم عليهم وتدعوهم إلى أمرك، وكانوا ستة نفر.

---

(١) الأوس والخزرج: قبيلتان عربيتان استوطنتا المدينة المنورة، وتعرف هاتان القبيلتان بالأنصار، تكريماً لما كان لهما من شأن هام في قيام الاسلام، وكان مهاجرتهما من جنوب بلاد العرب لما تصدع سد مأرب في القرن الخامس الميلادي.

قال ـ الراوي ـ: فلما قدموا المدينة فأخبروا قومهم بالخبر، فما دار حول إلا وفيها حديث رسول الله ﷺ حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا، فلقوا النبي ﷺ فبايعوه على بيعة النساء أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا، إلى آخرها، ثم انصرفوا، وبعث معهم مصعب بن عمير يصلّي بهم، وكان بينهم بالمدينة يُسمى المقرئ، فلم يبق دار في المدينة إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا دار أمية وحطيمة ووائل وهم من الأوس، ثم عاد مصعب إلى مكة ..

وخرج من الأنصار إلى الموسم مع حجاج قومهم، فاجتمعوا في الشعب عند العقبة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان في أيام التشريق بالليل، فقال ﷺ: «أبايعكم على الإسلام؟».

فقال لـه بعضهم: نريد أن تعرفنا يا رسول الله، ما لله علينا وما لك علينا وما لنا على الله؟

فقال ﷺ: «أما ما لله عليكم فأن تعبدوه ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وأما ما لي عليكم فتنصروني مثل نسائكم وأبنائكم، وأن تصبروا على عض السيف وأن يقتل خياركم».

قالوا: فإذا فعلنا ذلك ما لنا على الله؟.

قال: «أما في الدنيا فالظهور على من عاداكم، وفي الآخرة

رضوانه والجنة».

فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق، لنمنعك بما نمنع به أزرنا، فبايعنا يا رسول الله؛ فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلفة ورثناها كباراً عن كبار.

فقال أبو الهيثم: إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا إن قطعناها أو قطعوها فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم». ثم قال ﷺ: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا»، فاختاروا ثم قال: «أبايعكم كبيعة عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين، كفلاء على قومهم بما فيهم، وعلى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».

فبايعوه على ذلك، فصرخ الشيطان في العقبة: يا أهل الجباجب، هل لكم في محمد والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم، ثم نفر الناس من منى وفشا الخبر فخرجوا في الطلب، فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، فأما المنذر فأعجز القوم وأما سعد فأخذوه وربطوه بنسع رحله، وأدخلوه مكة يضربونه فبلغ خبره إلى جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أمية فأتياه

وخلصاه.

وكان النبي ﷺ لم يؤمر إلا بالدعاء والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، فطالت قريش على المسلمين، فلما كثر عتوهم أمر بالهجرة، فقال ﷺ: «إن الله قد جعل لكم دارا وإخوانا تأمنون بها» فخرجوا أرسالا حتى لم يبق مع النبي ﷺ إلا علي وأبو بكر فحذرت قريش خروجه، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب يتشاورون في أمره ...[1].

المرحلة الثالثة:

ثم بدأت المرحلة الثالثة في إدارة الرسول الأعظم ﷺ وهي من بداية هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة حتى السنة الرابعة من الهجرة، وتميزت هذه الفترة بأن الرسول الأعظم ﷺ مارس الإدارة بنفسه الشريفة، أي قاد الأمة قيادة مباشرة، وكانت أيضاً محدودة؛ وذلك لاقتصارها على المدينة المنورة فقط.

قام رسول الله ﷺ في هذه الفترة بمهمات إدارية كبيرة

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص٢٥ ب٥ ح١٥.

تكشفت فيها عن عبقريته الإدارية العظيمة، وحسن تخطيطه، كان منها: قيامه ﷺ بالمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين. وكانت هذه المؤاخاة هي الثانية من نوعها، فالأولى كانت في مكة بين أصحابه، أما هذه فكانت بين المسلمين الذين هاجروا من مكة وبين المسلمين من أهل المدينة (الأنصار) [1]..

روي: أنه لما آخى النبي ﷺ بين عبد الرحمن وبين سعد بن الربيع قال سعد: قد علمت الأنصار أني أكثرهم مالاً، فأقاسمك مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها، فإذا انقضت عدتها تزوجتها.

وروي: أن المهاجرين أتوا النبي ﷺ قالوا: ما رأينا قوماً قط أبذل لكثير ولا أحسن مواساة من قليل من الأنصار، لقد قدمنا المدينة فكفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ.

وكانت لهذه المؤاخاة نتائج طيبة، منها: زيادة أواصر المحبة والأخوة بين المهاجرين والأنصار، ومنها: تهيئة أمور السكن والمعيشة للمهاجرين عبر الاشتراك مع الأنصار، الى غير ذلك مما هو مذكور في التاريخ.

---

(١) راجع الغدير: ج٣ ص١١٢باب المؤاخاة بين رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام.

نعم هذه الفترة لم تخل من الصعوبات، حيث واجهت الرسول الأعظم ﷺ مشاكل إدارية كثيرة، مثل: إسكان المهاجرين الذين كان يزيد عددهم يوماً بعد آخر، وكذلك إطعامهم وتوفير العمل لهم، وغيرها من الصعوبات التي اجتازها الرسول الأعظم ﷺ بنجاح، نتيجة حسن تخطيطه وإدارته الناجحة للأمور..

معاهدة المدينة المنورة

وقد قام رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة بوضع (صحيفة) لتنظيم حياة المسلمين في كافة جوانبها السياسية والإقتصادية والإجتماعية، وهذا العمل هو من الأعمال الإدارية المهمة التي قام به الرسول ﷺ وتعتبر اللبنة الأولى لدستور الدولة الإسلامية، فبعدما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار وضع هذه الصحيفة، التي توضحت فيها العلاقات فيما بين المسلمين أنفسهم، ووضّح ﷺ شكل العلاقة ومكانة اليهود وغير المسلمين في المدينة وما جاورها، فوادع اليهود في هذا الكتاب وأقرهم على دينهم وأموالهم، وفق الشروط والضوابط المبينة في الصحيفة والمتفق عليها بين الطرفين، وقد جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، والمهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين... وإن المؤمنين لايتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. ولايحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعا لو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من اتبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم. وأن سلم المؤمنين واحدة. ولا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وإن المؤمنين يبئ

بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش، ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولايحل لهم إلا قيام عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا، ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحرث مثل ما ليهود بني بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن

البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ، وإنه لاينحجز على ثأر جرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم، وإن الله على من أبر هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة . وإن البر دون

الإثم، لا يكسب كاسب على نفسه، وإن الله على من أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وإن الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ.[1]

(١) لقد وردت هذه الصحيفة في مصادر عديدة وبنصوص مختلفة اختلافاً يسيراً، وقد نقلنا هذا النص من كتاب النظام السياسي في الإسلام ط دار التعارف (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) لمؤلفه باقر شريف القرشي.

المرحلة الرابعة:

ثم بدأت المرحلة الرابعة مع حلول السنة الرابعة للهجرة، واستمرت هذه المرحلة إلى السنة التي تم فيها فتح مكة. ومن المعلوم أن كل يوم كان يمر على المسلمين كانت تزداد فيه حاجتهم إلى تنظيم أمورهم وإدارة مجتمعهم؛ وذلك لزيادتهم العددية يوماً بعد يوم، وظهور أمة الإسلام بين الأمم كمنافس شديد المراس، مما سبب كثرة الحروب عليهم وانتصاراتهم، وزيادة الأموال التي كانت تجبى من الغنائم ومن الأخماس والزكوات، الأمر الذي استوجب كثرة المؤسسات والمشاريع.

المرحلة الخامسة:

ثم بدأت المرحلة الخامسة وهي ما بعد فتح مكة إلى رحلة الرسول الأعظم ﷺ وهي من أهم المراحل وأوسعها، حيث فتحت مكة وبعض المناطق المجاورة لها، وأصبحت الأراضي التي تقع تحت الإدارة الإسلامية واسعة شاسعة مترامية الأطراف، مما يتطلب توسيع نطاق الإدارة الإسلامية، ففي المرحلة الثالثة والرابعة كانت الإدارة مباشرة، أي إن النبي ﷺ كان يمارس ويباشر إدارة أمور المسلمين بنفسه؛ لأن الإسلام كان في بقعة جغرافية محدودة

هي المدينة وحواليها فقط، أما في المرحلة الأخيرة فقد انتشر الإسلام وتوسعت البلاد الإسلامية مما تطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إرسال مبعوثين لإدارة كل البلاد الداخلة في الإسلام لكي يشرفوا على إدارتها، فمثلاً أرسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى اليمن، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، فقال: يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه، وايم الله، لأن يهدي الله على يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي»[1]. وأرسل آخرين إلى مناطق أخرى. حيث روي أنه: في السنة العاشرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمراءه على الصدقات، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء فخرج عليه العبسي وهو بها، وبعث زياد بن أسد الأنصاري إلى حضرموت على صدقاتها، وبعث عدي بن حاتم الطائي على صدقة طي وأسد، وبعث مالك ابن نويرة على صدقات حنظلة، وجعل الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات زيد بن مناة بن تميم، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وبعث علي بن أبي طالب عليه السلام إلى نجران

(١) الكافي: ج ٥ ص٢٨ باب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح٤.

ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ففعل وعاد[1].

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص٣٧٣ ب٣٥ ح٣.

إدارة الوفود

وأخذت تتقاطر على رسول الله ﷺ مختلف الوفود، وكان الرسول ﷺ يتعامل معهم بأفضل ما يمكن ويديرهم بإدارة ناجحة، على تفصيل مذكور في التاريخ[1] نشير إلى قسم منه.

روى العلامة المجلسي في البحار باب قدوم الوفود على رسول الله ﷺ:

عن إعلام الورى قال بعد ذكر نزول براءة: ثم قدم على رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي مسلماً واستأذن رسول الله ﷺ في الرجوع إلى قومه! فقال ﷺ: «إني أخاف أن يقتلوك» فقال: إن وجدوني نائماً ما أيقظوني، فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى الطائف ودعاهم إلى الإسلام ونصح لهم، فعصوه وأسمعوه الأذى حتى إذا طلع الفجر قام في غرفة من داره فأذّن وتشهد، فرماه رجل بسهم فقتله..

وأقبل بعد قتله من وفد ثقيف بضعة عشر رجلاً هم أشراف ثقيف فأسلموا، فأكرمهم رسول الله ﷺ وحباهم وأمر عليهم

---

(١) انظر كتاب (ولأول مرة في تاريخ العالم) ج٢ للإمام الشيرازي الراحل قدس سره.

عثمان بن أبي العاص بن بشر وقد كان تعلم سوراً من القرآن..

فلما أسلمت ثقيف ضربت إلى رسول الله ﷺ وفود العرب، فدخلوا في دين الله أفواجا، كما قال الله سبحانه في سورة النصر[1] فقدم عليه ﷺ عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم منهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم وعيينة بن حصن الفزاري وعمرو بن الأهتم، وكان الأقرع وعيينة شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنينا والطائف، فلما قدم وفد تميم دخلا معهم، فأجارهم رسول الله ﷺ وأحسن جوارهم..

وممن قدم عليه ﷺ وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأمه، وكان عامر قد قال لأربد: إني شاغل عنك وجهه فإذا فعلته فأعله بالسيف، فلما قدموا عليه قال عامر: يا محمد خالني، فقال: لا حتى تؤمن بالله وحده، قالها مرتين، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: والله لأملأنها عليك خيلا حمرا ورجالا، فلما ولى قال رسول الله ﷺ: اللهم اكفني عامر بن الطفيل، فلما خرجوا قال عامر لأربد: أين ما كنت أمرتك به؟ قال: والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني

---

(١) سورة النصر: ١-٣.

وبين الرجل أفأضربك بالسيف!

وبعث الله على عامر بن الطفيل في طريقه ذلك الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من سلول، وخرج أصحابه حين واروه إلى بلادهم، وأرسل الله على أربد وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وفي كتاب أبان بن عثمان: أنهما قدما على رسول الله ﷺ بعد غزوة بني النضير قال: وجعل يقول عامر عند موته: أغدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية، قال: وكان رسول الله ﷺ قال في عامر وأربد: اللهم أبدلني بهما فارسي العرب، فقدم عليه زيد بن مهلهل الطائي وهو زيد الخيل وعمرو بن معديكرب.

وممن قدم على رسول الله ﷺ وفد طيئ فيهم زيد الخيل وعدي بن حاتم، فعرض ﷺ عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له أرضين معه وكتب له كتابا، فلما خرج زيد من عند رسول الله ﷺ راجعا إلى قومه، قال رسول الله ﷺ: إن ينج زيد من حمى المدينة أو من أم ملدم، فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء يقال له قردة أصابته الحمى فمات بها وعمدت امرأته إلى ما كان معه من الكتب فأحرقتها.

وذكر محمد بن إسحاق أن عدي بن حاتم فرّ، وأن خيل رسول الله ﷺ قد أخذوا أخته فقدموا بها على رسول الله ﷺ وأنه منّ

عليها وكساها وأعطاها نفقة، فخرجت مع ركب حتى قدمت الشام وأشارت على أخيها بالقدوم، فقدم وأسلم وأكرمه رسول الله ﷺ وأجلسه على وسادة رمى بها إليه بيده.

الإدارة النموذجية

وخلاصة البحث: إن الإدارة في الإسلام كانت نموذجية وواضحة المعالم منذ بزوغ فجر الإسلام على المعمورة، نعم ربما كانت تختلف في بعض الصيغ والأساليب الإدارية من عصر لآخر؛ وإلا فالجوهر فيها واحد، وهي إدارة سماوية مبتنية على السلم والسلام، والمحبة والإخاء، والعطف والحنان، وحفظ كرامة الإنسان.

من هنا يلزم التأسي برسول الله ﷺ في إدارته الناجحة حتى في مثل هذا اليوم.

لا يقال: إن الإدارة في عصر ما قبل الإسلام، وفي بداية البعثة إلى زمن طويل، وفي حكومة رسول الله ﷺ في المدينة المنورة والتي أدارها رسول الله ﷺ مباشرة، وكذلك في عصر أمير المؤمنين عليه السلام وعصور الأئمة المعصومين عليهم السلام كانت إدارة ذات أشكال بسيطة وذات مؤسسات قليلة، مقارنة بأشكالها اليوم، بعد أن دخلت في الإكتشافات العلمية، من أجهزة وحواسيب

وفضائيات وما أشبه، فأصبحت تتطلب آلاف المدراء والعمال وآلاف المؤسسات الإدارية الضخمة، فكيف يمكن التأسي مع اختلاف العصور والمتطلبات.

لأنه يقال: الأسس في الإدارة والقيم والمبادئ والخطوط العامة لم تتغير، نعم ربما تغير بعض الأساليب والأشكال والصور فقط.

أين الإدارة الإسلامية؟

إن المسلمين في هذا اليوم قد تركوا الإسلام وتمسكوا بالقوانين الوضعية من قبل الشرق والغرب، ومن أهم ما تركوه الإدارة الإسلامية والتي أثبتت نجاحها في الفترات السابقة ..

فأين إدارتنا الإسلامية المميزة اليوم، ونحن نعيش عصر الحاسوب، والتحديات الكبيرة من غير المسلمين؟ هل موقعنا في القمة، كما كان أسلافنا؟ حيث كانوا يملكون إدارة تفوق كل من عاصرهم، رغم بساطة مواردهم في ذلك الزمن قياساً إلى معاصريهم من الدولتين الرومية والفارسية، أين نحن الآن؟

للأسف الشديد، نحن على عكس ما نتمنى ونطمح، وعلى عكس ما أراده الإسلام لنا من التقدم والعلو حيث ورد: «الإسلام

يعلو ولا يُعلى عليه»[1]. فنحن اليوم في آخر القائمة، بعد أن كنا في رأسها؛ والسبب في ذلك يرجع إلى غياب تلك العناصر الأساسية في النجاح ومنها الأسلوب الإداري الناجح الذي أمر به القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام.

عوامل نجاح الإدارة

إن كل مؤسسة مهما كان مجالها وشكلها، ينبغي أن توفر شرطين أساسيين فيها إلى جانب توفير جملة من الشروط الأخرى؛ لكي تكون مؤسسة ناجحة، والشرطان الأساسيان هما:

العلم

أولاً: العلم، فإن الشخص المدير للمؤسسة يلزم أن يتمتع بخلفية علمية واسعة فيما يتعلق بشؤون مؤسسته وكيفية إدارتها، فمثلاً: المدرّس الذي لم يصل للمستوى العلمي المطلوب، لا يمكنه أن يدير حلقة الدرس، فتلاحظ أن تدريسه يفشل، ويدخل في إحراجات مختلفة، وكذلك السائق الذي يقود السيارة يجب أن يملك مهارة كافية في فن السياقة وعوامل الصيانة والإدامة فيها، وإلا فإدارته للسيارة فاشلة، وهكذا في سائر الأمور.

---

(١) غوالي اللئالي: ج١ ص٢٢٦.

فالشخص الذي يدير مؤسسة علمية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها، يجب أن تتوفر عنده الخبرة الكاملة في مجال عمله وبمؤسسته، قال أمير المؤمنين عليه السلام: « العلم رشد لمن عمل به»[1].

وقال عليه السلام: « وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها»[2].

الإخلاص

ثانياً: الإخلاص في العمل، حيث يلزم توفره في شخص المدير لضمان إتقان واستمرار العمل، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير العمل ما صحبه الاخلاص»[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «آفة العمل ترك الاخلاص»[4].

وهذان الشرطان[5] كل واحد منهما يكمل الآخر، ولا يمكن الإستغناء عن أحدهما؛ فالعلم بدون الإخلاص لا ينتج منه إدارة ناجحة، وكذلك الإخلاص بدون العلم. إذاً، يلزم توفر هذين

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٢ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٨١١.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣١ ق٣ ب٢ ف١ ح٤٦٢٢.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٥ ق١ب٦ف٤ ح٢٩٠٤.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٥ ق١ ب٦ ف٤ ح٢٩٠٢.
(٥) العلم والإخلاص.

الشرطين في كل إدارة، إذا أريد لها النجاح..

سائر الشروط

وأما الشروط الأخرى المطلوبة في الإدارة الناجحة فهي كثيرة، أشرنا إلى بعضها في كتاب (كيف تدير الأمور)[1].

---

(١) يقع الكتاب في ٩٦ صفحة من الحجم ١٢ × ١٧، من تأليفات سماحته ﷺ في كربلاء المقدسة، ويتضمن العناوين التالية: دور الإدارة، هل الإدارة غريزة أم اكتساب، الصبر على المكاره، السكوت، معرفة مداخل الأمور ومخارجها، مطالعة أحوال العظماء، ترجيح الأهم على المهم، العفو، تنفيذ المدير رأيه في كبار الأمور وإيكال صغارها إلى مرؤوسيه، التفكر الدائم، التخطيط، حسن الأخلاق، التطلع على أحوال الأشخاص بروح منطلقة متطلعة، عدم إظهار الضعف ولا القوة، الفصل بسلام، احترام النفس، عدم الانحطاط لمستوى المنحطين، أن يكون حافلا، إصلاح الخطأ، تنظيم الأوقات، تشويق الموظفين ومدحهم، السرعة بإتقان، التوسط في الفكر، عدم التبجح، النظر إلى العواقب، المراقبة على الحاشية والحد من نشاطهم، طيب المعاشرة، سد الخلل الصغار قبل أن تكبر، اجتناب ما يسبب نفرة الناس، جلب ثقة الناس، الأخذ بأطراف الإدارة بقوة، الاستشارة، العمل بلا استفزاز، عدم الأنانية، الحزم، قوة الدعاية، مراعاة جانب الله في كل لحظة وخطوة، نزاهة الحاشية، عدم توقع العمل من الموظفين مائة في مائة، التوسط في النظرة إلى الناس، الصمود أمام الكوارث، ترفيع مستوى الموظفين ليصلحوا للإدارة، الترفيه عن النفس، سوط التقدم، العناية بصغار الأمور على نحو العناية بكبارها، تحويل إلى أجناس، التهرب من المشاكل بلباقة، ضبط النفس عن الانخداع.
طبع عدة مرات منها: هيئة شباب التبليغ كربلاء المقدسة ١٣٩٠ هـ مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف. كما طبع مكرراً ضمن كتاب (الفقه: الإدارة) ج٢ من الصفحة ٣١١- ٣٥٨. وقد ترجم إلى الفارسية ←

منها: توفر التنظيم الجيد، واستقبال الكوادر الفاعلة، والتطور الذي يواكب العصر، والعمل المنسّق فيما بين أفراد المؤسسة، والتسيق مع سائر المؤسسات، كما يلزم أن يكون هنالك ترابط اجتماعي بين أفراد المؤسسة وذلك بالأخوة والمحبة القائمة فيما بينهم، وكذلك بين الأفراد ورب العمل. وأن يكون لأفراد هذه المؤسسة ما يؤمّن لهم مستوى عيش كريم وخاصة عند تعرضهم للأزمات. كما يلزم أن تكون الإستشارية محكمة في الإدارة لا الاستبداد والفردية، وأن يكون الجميع حراً في إبداء الرأي، وكذلك في توجيه النقد البناء لما فيه مصلحة العمل. وأن يكون هناك شورى منتخبة لإدارة العمل، إلى غير ذلك من مقومات نجاح الإدارة [1].

وهذا الكلام ينطبق على كل المؤسسات، صغيرة كانت أم كبيرة، بل كلما توسعت المؤسسة، احتجنا إلى هذه العوامل أكثر، كما ينطبق بشكل أولى على إدارة الدولة؛ لأن الدولة من أكثر المؤسسات احتياجاً للإدارة الناجحة، والدولة ما هي إلا مجموعة

→

تحت عنوان (نقش مديريت در بيشرفت ملتها) ترجمه الشيخ علي الكاظمي.

(١) للتفصيل انظر موسوعة الفقه: ج١٠٣-١٠٤ كتاب الإدارة / وكذلك كتاب (كيف تدير الأمور؟) للإمام الشيرازي الراحل رحمه الله.

مؤسسات تتعاضد فيما بينها لخدمة المجتمع.

رسول الله ﷺ والإدارة

لو طالعنا إدارة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والبرامج التي رسموها للمجتمع، لكي تخطو الأمة إلى الأمام وتفوز بسعادة الدنيا والآخرة، لوجدنا أن هناك ترابطاً قوياً في القوانين المعنوية والمادية في الإدارة الشرعية، فليست الإدارة الناجحة تعتمد على الماديات فحسب ولا على المعنويات فقط.

فترى الحالة المعنوية العالية التي تولدت بين المسلمين في عصر رسول الله ﷺ وهي شوقهم الشديد إلى الله عزوجل والخوف منه، وأداء الصلاة والصيام، والتزامهم بالصدق والوفاء، وغير ذلك من الفضائل الروحية، وما هذه الحالة إلا نتيجة للجهود التي بذلها الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام في هذا الطريق.

وكذلك ما يرتبط بالماديات وإدارة الحياة المادية، فعندما جاء النبي ﷺ إلى المدينة رأى أن اليهود هم الذين يسيطرون على عصب الحياة في البلاد، من اقتصاد وسلاح وغيرهما، وكانوا يستخدمونها في إثارة النزاعات والحروب والعداوات بين أهل المدينة؛ لذا شجّع الرسول الأعظم ﷺ المسلمين في سبيل أن يكونوا هم أصحاب القرار، وهم الذين يتولون إدارة أمورهم بأنفسهم بدل أن يديرها غيرهم، فرسم ﷺ لهم الخطوط الكفيلة

بذلك، فتمتع المسلمون بالاستقلال الاقتصادي والعسكري نتيجة الإدارة الناجحة الفذة للرسول الأعظم ﷺ وحسن تخطيطه.

الإدارة ونشر الوعي

قام رسول الله ﷺ في إدارته الناجحة بتوعية الأمة، فبذل جهوداً كبيرة في سبيل نشر الوعي بكافة أقسامه بين أفراد المجتمع، فبث الوعي الديني والسياسي والإقتصادي والصحي والثقافي وغيرها، بين أوساط ذلك المجتمع الجاهلي، الذي كانت صفة الجهل والعادات الجاهلية المقيتة منتشرة ومستمكنة منه، ولكن عبقرية الرسول ﷺ الإدارية أخرجت هذا المجتمع من مصاف الشعوب المتأخرة، إلى قيادة الشعوب المتطورة ..

ولو راجعنا التاريخ ودققنا فيه وتأملنا في الأعمال التي قام بها الرسول الأعظم ﷺ لنشر الوعي والثقافة بين أوساط المجتمع، وكيف تغلب على المعوقات الكثيرة، التي كانت في طريقه، لساعدنا ذلك كثيراً في سبيل النهوض بالأمة، بعد الكساد والخمول الفكري، الذي عم بلادنا اليوم.

رفع الحواجز الوهمية

قال تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

إن من أهم الأعمال والمنجزات المهمة التي قام بها رسول الله ﷺ في إدارته الناجحة: رفع الحواجز التي وضعتها الجاهلية التي كانت تحد من حرية الناس الطبيعية، وتقيّدهم، حيث كان الإنسان قبل الإسلام، عندما يريد أن يذهب إلى بلد آخر للتجارة أو غيرها، يجد أمامه مجموعة من الصعوبات والعراقيل، منها: تعرضه للأخطار من سلب ونهب وقتل، من خلال ما كان بين القبائل من غزو وأسر وتجاوز..

ومنها: الضرائب اللاشرعية الكثيرة، من أخذ أموال على التجارة والقوافل حتى يؤذن للإنسان العمل بالمتاجرة، والذي

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

يسمى بتعبير اليوم بـ(الجمارك) وهو من أشد المحرمات في الشريعة الإسلامية.

ومنها: الحواجز الجغرافية، وهي شبه الحدود المصطنعة اليوم والموجودة في عصرنا هذا بين الدول الإسلامية، ومثل هذه الحواجز كانت موجودة في عصر ما قبل الإسلام بين القبائل، ولكن بشكل مبسط، كما هو مذكور في التاريخ.

إلى غير ذلك من الأمور المعرقلة والمعطلة لحرية الإنسان.

ولكن الإسلام رفض جميع هذه القيودات حيث قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك حواجز ومعرقلات نفسية مخيمة على طبيعة المجتمع الجاهلي، حيث كان التفاخر بالأنساب والألقاب والأموات هو السائد في ذلك الوقت بين الناس، فهذا من تميم، وذلك من طي، وثالث من بني عبس، وهكذا، وكان التزاوج والعلاقات الاجتماعية الأخرى مبنية على هذا الأساس، فالقبيلة التي ترى نفسها قوية وكبيرة تستهين بالقبائل الأخرى المجاورة لها، التي تقل عنها قوة وعدداً، ولا يمكن عادة أن تزوج

---

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

إحدى بناتها أو بنيها إلى القبيلة الأقل قوة منها ..

إضافة إلى الحواجز والمعرقلات النفسية الأخرى..

وقد ألغى الشرع الإسلامي جميع ذلك حيث قال تعالى: ﴿يَاأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: « إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا حسب إلا بالتواضع، ولا كرم إلا بالتقوى، ولا عمل إلا بالنية»[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حسب المرء ماله، ومروته عقله، وحلمه شرفه، وكرمه تقواه»[4].

فعندما بزغ نور الإسلام، ونتيجة لجهود الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعبقريته الإدارية، تمكن من تحطيم جميع هذه الحواجز، سواء

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٨٩ ب٧٥ ح١٣٥٩٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج١ ص٤٨ ب٥ ح٩١.

(٤) أمالي الطوسي: ص٥٩٠ المجلس٢٥ ح ١٢٢٣.

كانت جغرافية أم نفسية، وشيّد مكانها أواصر المحبة والتآلف والأخوة بين المسلمين جميعاً، بحيث زالت الملاكات المزيفة للتفوق والرجحان بسبب القوة والضعف، أو العُدّة والعدد، أو سواد البشرة وبياضها، أو اللغة والعرق، أو القومية والثروة، فأصبح المسلمون أخوة فيما بينهم، ولا مائز بين الناس إلا الإسلام والتقوى. وأصبح بلال الحبشي وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليهم) سواء فيما بينهم، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى والإيمان والإرتباط بالله تعالى. كما جعل صفية اليهودية وسودة المشركة ومارية القبطية ـ بعد إسلامهن ـ أخوات في الإسلام.

نعم، هذه هي الإدارة الناجحة للإسلام، حيث بدّل العداوة إلى المحبة والمصالحة، وبدّل العادات التي تبعد الإنسان عن أفراد جنسه ومجتمعه بقوانين وأنظمة تقرّب بين الناس وتجعلهم يتعارفون فيما بينهم كما قال عزوجل: ﴿لتعارفوا﴾[1].

فعندما قام النبي ﷺ بهذه الإدارة الناجحة استطاع أن يبدل حال الناس إلى أفضل حال، وأوصل المسلمين إلى الاعتماد على أنفسهم في كل شيء، بحيث أوصلهم إلى الاكتفاء الذاتي في أغلب

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

جوانب الحياة الاقتصادية والعسكرية والسياسية وغيرها.

مسلمو اليوم

قال تبارك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (١).

إن حال أغلب المسلمين اليوم غير ما كانوا عليه في الصدر الأول، فنتيجة لابتعادهم عن نهج رسول الله ﷺ القويم أصبحوا فرقاً مشتتة ضعيفة متناحرة فيما بينها، وبدلاً من الاتحاد حلت التفرقة، وبدل المحبة والأخوة الإسلامية التي كانت سائدة في ذلك العصر، أصبحت العداوة والبغضاء هي السائدة بين كثير من أفراد المجتمع الإسلامي اليوم، وبدلاً من رفع الحواجز الجغرافية والحدود المصطنعة التي ألغاها الرسول ﷺ سنت اليوم حواجز وعراقيل أكثر تعقيداً حتى من أيام الجاهلية الأولى، فأصبح المسلم الذي يريد أن يسافر من بلد إسلامي إلى آخر مقيداً بشروط وعراقيل كثيرة، من الجواز والتأشيرة والضريبة والإجازة وغيرها، مما يجر عليه ضياع الكثير من الوقت والمال لكي يسافر فقط، هذا إذا سمح له بعد التحقيق والتدقيق المشدد، والذي يزيد عن حده المقرر.

وكذلك الحواجز النفسية التي رفعت في زمن الرسول ﷺ

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٨-٢٩.

أعيدت وبأشد مما كانت، فأصبح المسلم اليوم أجنبياً بالقياس إلى سائر المسلمين، فالمسلم العربي أصبح غريباً في البلاد الإسلامية الأخرى، والمسلم الهندي أجنبياً في البلاد الإسلامية العربية وهكذا، مما حدا بهم إلى التناحر والتصارع، فمكنوا الاستعمار من أنفسهم للسيطرة عليهم، وأصبح حالهم مثل حال الناس قبل البعثة، إن لم نقل أشد؛ حيث إن سياستهم واقتصادهم وثقافتهم ووسائلهم الحربية هي اليوم بيد غيرهم، وهذا الغير هو الذي يخطط لهم ويوجههم ويجرهم إلى الحروب الداخلية ـ أي في داخل الأمة الإسلامية ـ للقضاء عليهم وعلى ثرواتهم، وهم لا يفكرون بجدية في سبيل نيل استقلالهم الحقيقي، وفي الاستقلال الثقافي والاقتصادي والعسكري وما أشبه، واسترداد حقوقهم الضائعة والمغتصبة، ومكانتهم الحقيقية بين الأمم، بل ينتظرون أن تتبدل أحوالهم إلى أحسن من هذا وهم قاعدون دون أن يحركوا ساكناً، إلا القليل منهم. فصاروا مصداقاً عملياً حقيقياً لقوله تعالى: ﴿كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ﴾ [1]، وكأن المطالب تُنال بالتمني والرغبات.

---

(١) سورة الرعد: ١٤.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن قلوب الجهال تستفزها الأطماع، وترتهنها المُنى، وتستعلقها الخدائع»[1].

وقال عليه السلام: «الأماني تخدعك، وعند الحقائق تخذلك»[2].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «تجنبوا المُنى؛ فإنها تذهب بهجة ما خولتم، وتستصغرون بها مواهب الله تعالى عندكم، وتعقبكم الحسرات فيما وهمتم به أنفسكم».[3]

إن بعض المسلمين اليوم يريدون ـ وبدون تقديم أي عمل ـ أن يغرفوا السعادة من بحر الحظ، وهذا لا يكون كما هو واضح.

المطلوب لإنجاح الإدارة

قال تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىَ قَوْمٍ حَتَّىَ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

إن على المسلمين أن يغيروا مسيرهم الحالي، ويرجعوا إلى الطريق الذي يوصلهم نحو هدفهم، وهذا يتطلب دراسة شاملة لكل

---

(١) الكافي: ج ١ ص٢٣ كتاب العقل والجهل ح١٦.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٤٧ ب١٦ ضمن ح١٤٧٠٣.
(٣) الكافي: ج٥ ص٨٥ باب كراهية الكسل ح٧.
(٤) سورة الأنفال: ٥٣.

شؤون حياتهم، منذ البداية وحتى الآن، ثم إعادة تصرفاتهم وطراز تعاملهم ليتطابق مع سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السلام في إدارتهم الناجحة، ليسترجعوا بذلك عزّهم الذي ضاع منهم قبل قرن تقريبا، ويعودوا مرة أخرى سادات الدنيا، حينذاك يتمكنون من هداية الناس نحو الحق والحقيقة ونحو خير الدنيا والآخرة، أما إذا بقيت الأمة الإسلامية على هذا الحال ـ لا سامح الله ـ فلا يمكن لها أن تحقق النصر، وستظل تتحمل المصائب والويلات يوماً بعد يوم.

حكمة الله تعالى

قال الإمام الصادق عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن»[1].

وفي الحديث: أن النبي موسى (على نبينا وآله وعليه السلام) كان قد مرض، وامتنع عن مراجعة الطبيب فظل مريضاً مدة، ولم يحصل على الشفاء، ولما سأل الله تعالى في شفائه أمره بالمراجعة إلى

---

(١) الكافي: ج١ ص١٨٣ باب معرفة الإمام والرد إليه ح٧.

الطبيب، فقال: يا إلهي أليس الداء منك؟ فقال له ربه: نعم.

فقال موسى عليه السلام: يا إلهي أليس الدواء منك؟

قال له الله: نعم. حينذاك قال موسى عليه السلام: يا رب، إذن لا حاجة للطبيب، وطلب من ربه أن يشفيه؟ لكن الله تعالى لم يفعل ذلك إلا بعد مراجعته الطبيب[1].

وذلك لأن الله عزوجل خلق الدنيا دار الأسباب والمسببات وقوانين وسنن محكمة، ولا يمكن الفرار من هذا القانون الطبيعي، وعلى هذا الأساس لم يبق مجال لمن يقول: لماذا نرى المسلمين ـ اليوم ـ كلما دعوا الله ليغير حالهم لم يروا من الله استجابة. إذ لابد للإنسان المسلم من توفير المقدمات لتلك الإجابة، ومن ثَم ينتظر الإستجابة، ومن تلك المقدمات: العمل، والجد، والمثابرة، والإخلاص، والنية الصادقة، وعدم ارتكاب الذنوب والمعاصي التي تحجب وتصد الدعاء، وغيرها، كما نقرأ في دعاء كميل بن

---

(١) انظر الكافي: ج٨ ص٨٨ حديث الطبيب ح٥٢. وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
«قال موسى عليه السلام: يا رب من أين الداء؟ قال: مني، قال: فالشفاء؟ قال: مني، قال: فما يصنع عباد بالمعالج؟ قال: يطيب بأنفسهم، فيومئذ سمي المعالج الطبيب».

زياد (رضوان الله عليه) [1]:

«اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء» [2].

لذا، ومن خلال ما سبق نصل إلى هذه النتيجة وهي: أن المسلمين إذا لم يوفروا لأنفسهم ـ اليوم ـ إدارة صحيحة فإنهم لن يعثروا على طريق نجاتهم ونجاحهم، بل بقوا هكذا في دوامة التخلف والاستعمار.

---

(١) كميل بن زياد بن سهل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحرث النخعي، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وخواصه، شهد صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان شريفاً مطاعاً ثقة عابداً، وهو صاحب الدعاء المعروف بدعاء كميل بن زياد، ولاّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على بلدة هيت في العراق، عدّه الشيخ في الفهرست من أصحاب الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام . كان من صحابة علي عليه السلام وشيعته وخاصته، قتله الحجاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة، ولما ولي الحجاج (العراق) طلب كميل بن زياد فهرب منه فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير نفد بصري، ولا ينبغي أن أحرم قومي عطاءهم فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال له: كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً، فقال له كميل: لا تعرض عليّ أنيابك، ولاتهدم عليّ فوالله ما بقي من عمري إلا مثل كواسر الغبار فأقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله، وبعد القتل الحساب، ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي، فقال له الحجاج: الحجة عليك إذاً! فقال له كميل: ذاك إذا كان القضاء إليك، قال: بلى قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان! إضربوا عنقه، فضُربت عنقه.

(٢) مصباح الكفعمي: ص٥٥٥ ف٤٤ فيما يعمل في شعبان.

مداراة الناس

قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»[1].

إن مداراة الناس هي من الشروط الرئيسية للإدارة الناجحة، وقد أولاها الإسلام أهتماماً كبيراً، فالإدارة ـ كما سبق ـ تحتاج إلى مقدمات ومقومات يجب توفرها حتى تكون إدارة جيدة رصينة ناجحة، ومن هذه المقدمات: مداراة الناس. قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «مداراة الناس نصف الإيمان»[2].

فالشخص الذي يتعين قائداً أو مسؤولاً على مجموعة من الناس، يجب عليه مداراة هذه المجموعة، والسهر على خدمتهم، حتى يعد قائداً ناجحاً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد، ربك يقرؤك السلام ويقول لك: دارِ خلقي»[3].

ولا تختص المداراة بالجماعة التي بينك وبينهم مودة، أو نوع

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٠ ب١٢١ ح١٦٠٨١.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠١ ب١٢١ ح١٦٠٨٥.
(٣) الكافي: ج٢ ص١١٦ باب المداراة ح٢.

من العلاقة الطيبة، بل حتى الأعداء عليك بمداراتهم. قال الإمام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم: «من استصلح الأضداد بلغ المراد»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «مداراة الرجال من أفضل الأعمال»[2].

نسأل الله عزوجل أن يوفق الأمة وقياديها للتمسك بالإدارة الناجحة التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرة عليهم السلام..

«اللهم يا من يملك التدبير، وهو على كل شيء قدير، يا من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتُجن الضمير، وهو اللطيف الخبير، اللهم اجعلنا ممن نوى فعمل، ولا تجعلنا ممن شقي فكسل، ولا ممن هو على غير عمل يتكل»[3].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤١٤ ق٦ ب٢ ف١ ح٩٤٣٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٥ ق٦ ب٤ ف٤ ح١٠١٧١.

(٣) إقبال الأعمال: ص٢٢ فصل فيما نذكره من الداء الزائد عقيب صلاة المغرب أول ليلة من شهر رمضان.

من هدي القرآن الحكيم

أهمية الإدارة:

قال تعالى: ﴿كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ (٢).

وقال عزوجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَلاتَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ ۞ وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾ (٤).

---

(١) سورة هود: ١.

(٢) سورة ص: ٢٦.

(٣) سورة الجاثية: ١٨.

(٤) سورة السجدة: ٢٣ ـ ٢٤ .

التنظم سنة كونية:

قال عزوجل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ﴾ (٢).

وقال جل وعلا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤).

مداراة الناس وآثارها:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما

---

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

(٢) سورة الرعد: ٨.

(٣) سورة الفرقان: ٢.

(٤) سورة يس: ٣٨ ـ ٤٠.

كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢).

وقال عزوجل: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٣).

وقال جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤).

التدبير أساس في كل شيء:

قال عزوجل: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٥).

وقال سبحانه: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ

---

(١) سورة الأنعام: ٣٤.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٤) سورة القلم: ٤.

(٥) سورة الرعد: ٢.

أَعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ * ذلِكَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٢).

قال جل وعلا: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ﴾ (٣).

من هدي السنة المطهرة

الإدارة منهاج عمل:

كتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر رحمه الله: «.. ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة.. وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الأرزاق.. ثم تفقد

---

(١) سورة الرعد: ٤.

(٢) سورة السجدة: ٥ ـ ٧.

(٣) سورة يونس: ٣١.

أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم... وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله».

وفيه أيضاً: «ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول، وقلة إنصاف في معاملة فأحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال» .

وفيه أيضاً: « انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى... وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل».

وفيه أيضاً: «واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك.. ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك»[1]، الكتاب.

التنظيم سنة كونية:

(١) نهج البلاغة، الكتب: ٥٣ من كتاب لـه عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاّه مصر وأعمالها.

قال الإمام أمير المؤمنين ﷺ: «أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عيونها»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وجبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادها، فأرساها في مراسيها وألزمها قراراتها، فمضت رؤوسها في الهواء، ورست أصولها في الماء، فأنهد جبالها عن سهولها، وأساخ قواعدها في متون أقطارها... وجعلها للأرض عماداً، وأرّزها فيها أوتاداً»[2].

وقال عليه السلام في صفة القرآن: «ألا إن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي...ونظم ما بينكم»[3].

وفي قول الله عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشاً﴾[4] قال الامام السجاد عليه السلام: «جعلها ملائمة لطبائعكم، موافقة

---

(١) نهج البلاغة، الخطب: ١٨٦ من خطبة له عليه السلام في التوحيد.
(٢) نهج البلاغة، الخطب: ٢١١ من خطبة له عليه السلام في عجيب صنعة الكون.
(٣) نهج البلاغة، الخطب: ١٥٨ من خطبة لـه عليه السلام ينبه فيها على فضل الرسول الأعظم ﷺ وفضل القرآن.
(٤) سورة البقرة: ٢٢.

لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرد فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم... ولكنه عزوجل جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به، وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم...»[1].

مداراة الناس وآثارها:

قال رسول الله ﷺ: «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»[2].

وقال ﷺ: «إن الأنبياء إنما فضلهم الله على خلقه أجمعين بشدة مداراتهم لأعداء دين الله، وحسن تقيتهم لأجل إخوانهم في الله»[3].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «دارِ الناس تستمتع بإخائهم، وألقهم بالبشر تمت أضغانهم»[4].

وفي قوله عزوجل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[5] قال الإمام

---

(١) كتاب التوحيد للصدوق: ص٤٠٤ ب٦٢ ح١١.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٠٠ ب١٢١ ح١٦٠٨١.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٦٢ ب٢٧ ح١٤٠٦٣.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٥ ق٦ ب٤ ف٤ ح١٠١٨٠.
(٥) سورة البقرة: ٨٣.

الصادق عليه السلام: «أي: وقولوا للناس كلهم حُسنا مؤمنهم ومخالفهم، أما المؤمنون فيبسط لهم وجهه وبشره، وأما المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان»[1].

سوء التدبير سبب التدمير:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «آفة المعاش سوء التدبير»[2].

وقال عليه السلام: «من تأخر تدبيره تقدم تدميره»[3].

وقال عليه السلام: «من ساء تدبيره كان هلاكه في تدبيره»[4].

وقال عليه السلام: «يستدل على الأدبار بأربع: سوء التدبير، وقبيح التبذير، وقلة الاعتبار، وكثرة الاعتذار»[5].

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٥٣ باب في أن المسكين الحقيقي مساكين الشيعة الضعفاء في مقابلة أعدائهم ح٢٤٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٤ ق٥ ب١ ف٢ ح٨٠٨٧.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٤ ق٥ ب١ ف٢ ح٨٠٩٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٤ ق٥ ب١ ف٢ ح٨٠٩٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٥٤ ق٥ ب١ ف٢ ح٨٠٩٦.

الفهرس

كلمة الناشر ٥
الإدارة والمداراة ٨
الخطب اليومية للرسول ﷺ ١١
فن إدارة المعارضة ١٢
قصة وضع الحجر ٢٢
معنى الإدارة وتقسيماتها ٢٤
السلطات وأقسامها ٢٧
مراحل الإدارة في صدر الإسلام ٢٩
معاهدة المدينة المنورة ٣٦
إدارة الوفود ٤٤
الإدارة النموذجية ٤٧
أين الإدارة الإسلامية؟ ٤٨
عوامل نجاح الإدارة ٤٩
العلم ٤٩
الإخلاص ٥٠
سائر الشروط ٥١
رسول الله ﷺ والإدارة ٥٤

الإدارة ونشر الوعي ٥٥
رفع الحواجز الوهمية ٥٦
مسلمو اليوم ٦١
المطلوب لإنجاح الإدارة ٦٣
حكمة الله تعالى ٦٤
مداراة الناس ٦٧
من هدي القرآن الحكيم ٦٩
أهمية الإدارة ٦٩
التنظم سنة كونية ٧٠
مداراة الناس وآثارها ٧٠
التدبير أساس في كل شيء ٧١
من هدي السنة المطهرة ٧٢
الفهرس ٧٧